موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذى خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٢، ١٠٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفى عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م[١] هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا نكون قد ذهبنا بعيداً إن قلنا أن كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، هو أهم مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تغرى بردى، صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) الذى توفى عام ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (نزهة الأمم فى العجائب والحكم)، (نشق الأزهار فى عجائب الأقطار) (عقود الجمان فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)[٢]. وبالرغم من مكانة ابن إياس العلمية إلا أن مَن خَلَفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم يترجم له نجم الدين الغزى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر العيدروس فى (النور السافر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن ذلك ما بن برقوق، وأما والدى فإنه عاش من العمر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

(*) باحث.

وعشرون كتبه هو عن نفسه فى ذكر خبر وفاة والده فى شعبان عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م فقال ما نصه[٣]:(وفى يوم الجمعة ثالث عشره توفى والدى المرحوم الشهابى أحمد بن المرحوم إياس الفخرى من جنيد، وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق، وقرر دوادار ثانى فى دولة الناصر فرج ولداً ما بين ذكور وإناث غير المسقوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبنتاً وكان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناس)[٤].

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثمانى لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ودوَّن الوقائع والأحداث بتفصيلاتها فى الجزء الخامس من تاريخه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور)، وكان آنذاك فى العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعلم وسعة الإدراك، وقد ذمَّ ابن إياس الفتح العثمانى لمصر والشام، وذم السلطان سليماً الأول خاصَّة، ورجال الدولة العثمانية عامَّة بغير حق فى كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتابه المذكور بعناية وتدقيق نظر سيتبين له أن ابن إياس الذى بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصحبه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه فى تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثمانى لمصر والشام، والسنوات الأولى من الحكم العثمانى فى مصر. ولست أدرى ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامى آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التى تكالبت عليهم فى آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثمانى لمصر والشام ما هو إلا بغىٌ وعدوان غاشم !!. وقبل أن أقيم الأدلة على تحامل ابن إياس على العثمانيين ينبغى توضيح حال قلب العالم الإسلامى قبيل الفتح العثمانى لمصر والشام، والذى دفع السلطان سليماً للقيام بفتوحاته.

فبعد أن استولى الإسبان والبرتغال على الأندلس وطردوا المسلمين منها توجهت أنظارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففى عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردى سيللاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية فى روما لاقتسام أجزاء من بلاد المسلمين بينهما لئلا يختلفوا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقى على المحيط الأطلسى وبموجب ذلك شنَّ الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكىّ إسبانيا فرديناد وإزابيلا عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس[٥]. وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين فى أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأنهما كانتا الأكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين فى الأندلس. ولكن بفضل من الله وإحسان باءت جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على صخرة آل عثمان " بفضل من الله الكريم المنان ".

فوفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية[٦] ثم وهران[٧] فى عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب[٨] عام ٩١٦هـ/١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التنصير الجماعى أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)[٩] نص خطاب فردناند ملك إسبانيا إلى الكونت (بترو دى نافارا) وهو فى طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرتم لى فى خطاباتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا فى إفريقيا، فإنه يتحتم علينا أن نحتل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفى حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نعمرها برمتها بالنصارى وإلا فإن المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن فى مدن الساحل فإنه سيستحيل علينا أن نحتفظ بما احتللناه وقتا طويلاً. وإذاً فإن انتظاراً لما هو أفضل، يتحتم أن تعسكر فى المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من النصارى وألا يسمح لأى مغربى أن يطأها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعا للبرنامج الملكى الذى وضعه فردناند ملك إسبانيا والذى سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتى وهران وبجاية فإن جميع الطرابلسيين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمبانى العامة كلية) [١٠]. قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا يخططون لمد ملكهم إلى بنى غازى، ثم الإسكندرية، ثم دمياط ثم العريش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م أصبحوا ملوكاً على الساحل الإفريقى للمحيط الأطلسى، كما أسسوا لهم قواعد فى الساحل الغربى للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين ونكلوا بهم وسبوا دينهم ومنعوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصاحف، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لا يناله إلا التعذيب أو القتل[١١]. ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى[١٢] عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربى فاستولوا على قلهات[١٣] ومسقط[١٤] وهرمز[١٥] فى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م[١٦]. وياستيلائهم على جزيرة سقطرى دخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس فى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة[١٧]. ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران[١٨] فى جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ٩١٩هـ/١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والفنية للمماليك حتى يتمكنوا من التصدى للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثمانى لعدة سنوات فى عهد السلطان بايزيد الثانى[١٩]، وابنه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكى قانصوه الغورى، كما سيأتى بيانه، ولكن الغورى وإن كان قد حقق انتصارات فى بداية الأمر إلا أنه أخفق فى النهاية فى طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب فى ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حداً من التدهور والانهيار لا تجدى معه أى محاولات لإصلاحها والنهوض بها، وأيا كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامى كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفى نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يحدق بالعالم الإسلامى لا يقل عن الخطر الأوروبى ذى الدوافع الصليبية، ألا وهو خطر الرافضة[٢٠] فى فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوى[٢١] وإستولى على تبريز[٢٢]، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثنى عشرية على الناس قهراً، وسعى لنشرها خارج فارس، فاجتاح العراق ودخل بغداد عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٢٣]. وقد قال عنه النهروالى: (كاد أن يدعى الربوبية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس، بحيث لا يعهد فى الإسلام ولا فى الجاهلية ولا فى الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم فى بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)[٢٤].

وفى عام ٩١٧هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً فى الأراضى العثمانية فى الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولى، جمع حوله بعض الأسافل والرعاع ممن استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويسلبون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثمانى بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل فى المعركة، وبعد بضعة أشهر رعى الشاه إسماعيل تمرداً آخر فى الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور على خليفة، ومعه بعض الأسافل والرعاع ففعلوا كما فعل سلفهم[٢٥].

فهذه الأخطار الثلاثة، الخطر الإسبانى من الغرب، والخطر البرتغالى من الجنوب، والخطر الصفوى الرافضى من الشرق، تكالبت على قلب العالم الإسلامى فى نفس الوقت - انظر الخرائط فى آخر البحث-والأنكى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغال فى عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م عن طريق دى البوكيرك نائب ملك البرتغال فى المستعمرات الهندية الذى كان مقيماً بالهند آنذاك[٢٦]. الأمر الذى مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامى بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً : طريق البحر الأحمر الذى كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل براً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية[٢٧]. وكانت سفن البنادقة والجنوية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانيها فى اليونان وأوروبا الشرقية. فبإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سُد ذلك المنفذ التجارى الهام.

ثانيا : طريق الخليج العربى، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهرى دجلة والفرات، ثم تحمل براً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البنادقة والجنوية والعثمانية على النحو الذى سبق، أو كانت تبحر فى نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقاعدتهم فى هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

ثالثاً : الطريق البرى من الهند إلى الثغور المملوكية فى الشام و الثغور العثمانية فى الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وآذربيجان [٢٨].

هكذا حوصر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين فى العالم الإسلامى آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدى لفك ذلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت لتستطيع أن تقود المسلمين لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هى المعول عليها فى ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العينى والفنى للإخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، فى تصديهم للسفن الإسبانية فى البحر المتوسط، وكان يتولى ذلك الأمر الأمير قورقد بن بايزيد الذى قدم لهم سفينتين حربيتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة[٢٩]. كما قدمت السلطنة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد الثانى وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدى للبرتغال فى البحر الأحمر وفى البحار الهندية. ففى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجموا كمال هذا بتراجم عظيمة بأنه لا يكل ولا يمل من الجهاد فى الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعيى الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين فى الإسلام)[٣٠].

قلت : وكمال المذكور هو الريس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعيدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة فى الموره، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصح والمشورة للبحرية المملوكية فى حروبها ضد البرتغال. وفى عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التى طلبها السلطان الغورى، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك مكاحل سبقيات العدة ثلاثمائة ونشاب ثلاثين ألف سهم، وبارود مطيب أربعون قنطاراً ومقاذيف خشب العدة ألف مقذاف، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان "الغورى" على ذلك، وكان السلطان أرسل مالاً على يد يونس العادلى إلى بلاد ابن عثمان ليشترى له أخشاباً ونحاساً وحديداً، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عنده تقدمة للسلطان)[٣١] وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)[٣٢].

وبعد أن توفى السلطان بايزيد الثانى ظل الدعم العثمانى للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس فى أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أى بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربى، وكان السلطان "الغورى" أرسله إلى

بلاد ابن عثمان ليشترى أخشاباً وحبال ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحديد وأخشاب وحبال وغير ذلك أشياء كثيرة فى مراكب موسوقة)[٣٣] .... وفى صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغورى ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقال ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفى إنسان... وكان الريس سلمان العثمانى هو الشاد على عمارة تلك الأغربة وهو المشار إليه)[٣٤]. لعل فى تلك النقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليماً لما تولى السلطنة منع المساعدات التى كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح فى دفع الخطر البرتغالى، والأنكى من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوى فى عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام على دولات أمير دلغادر[٣٥] التابع للمماليك والذى يتولى إمارته بتقليد من السلطان المملوكى بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثمانى، وقد ذكر ابن زنبل الرمال أن السلطان الغورى شكر على دولات على ذلك وأرسل إليه يغريه على قتال السلطان سليم[٣٦]، كما ذكر ابن إياس وغيره أن على دولات اشتبك مع فرقة من الجيش العثمانى ونهب ما معهم[٣٧]، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغورى أرسل أفيالاً إلى الشاه إسماعيل سرا[٣٨]، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثمانى كان بأمر السلطان الغورى نفسه[٣٩]. ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغورى والصفوى بما يفيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون الدمشقى عن السلطان سليم : (أنه اطلع على مطالعات من سلطاننا "الغورى" إلى الخارجى إسماعيل الصوفى "الصفوى" يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان على يد البهلوان أحد جماعة سلطاننا)[٤٠]. وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً فى متحف طوب قبو فى اصطنبول[٤١].

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغى عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التى تحدق بقلب العالم الإسلامى منفرداً، كما أدرك أنه لا سبيل لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذى لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يتسع للتفصيل فى تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان: (لماذا وجب إزالة دولة المماليك) فى كتابى منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان (٢/٢٦١-٢٨١) فليرجع إليه مَن شاء التفصيل.

وقد تلقى السطان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشائر الكردية فى شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار " قزل باش "[٤٢] وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحدون فيها بهدم بيوتنا وبالقتال معنا كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شفقتكم القيام بإنقاذ هؤلاء الناس الصادقى الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف فى وجه هؤلاء ومقاومتهم)[٤٣].

كما أرسل وجهاء وأعيان حلب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود فى متحف (طوب قبو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم فى أرض عينتاب[٤٤]. خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجركسى احمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...)[٤٥].

فبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد فى شرق الأناضول، وانتصر انتصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوى، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاءته البيعة من الحجاز، كما دخل فى طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وخضر فى الجزائر، الذين كانا يتصديان للحملات الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه[٤٦] بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م[٤٧]. وفى عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالى الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضى والخطيب والأئمة والأعيان، وهى محفوظة بمتحف طوب قبو فى اصطنبول برقم ٦٤٥٦[٤٨] يطلبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية حماية لها من الإسبان، وقد جاء فى تلك الرسالة : (نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن نبقى ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فنرجو أن تعينوا خضر رئيس والياً علينا). فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذى أصبح يسمى خيرالدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمير أمرائها، وأرسل له مدداً من عتاد حربى، وألفى جندى وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول[٤٩]، ثم بدأ رحمه الله فى تجهيز حملة بحرية لفتح جزيرة رودس التى كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبتارية) آنذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت لم يمهله وتوفى رحمه الله عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فأتم جهاد أبيه وفتحها عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية فى جزيرة كمران عند باب المندب فى جنوب البحر الأحمر لصد أى هجوم بحرى عليه، وقد أشرف عليها الريس سلمان وأسند قيادتها إلى الريس صفر[٥٠]، وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبنادقة فى البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية فى المجر والنمسا وفارس والقوقاز على مدار القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن العمليات الحربية للسلطان سليم التى أثمرت توحيداً لمساحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تتوق إليه، قد هيأت الساحة للتصدى لتلك الموجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انتصر المسلمون فيها إنتصارات ساحقة تفوق انتصاراتهم فى موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لنجحت مخططات الصليبيين ولاختنق العالم الإسلامى كله من الحصار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التجارى الذى فرض عليه، ولسقطت بلاد المسلمين فى أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، ولربما امتد نفوذهم إلى الساحل الشامى واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصفويون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، ولتغير مجرى التاريخ كله، ولربما بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبى حتى الآن، فإن ميناء " سبتة " المغربى الذى استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/١٤١٤م[٥١] ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإسباتى حتى الآن، " نسأل الله أن يردها علينا ". وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجّلت سقوط الكيان السياسى للإسلام المتمثل فى الخلافة الإسلامية مدة أربعة قرون كاملة، فكان سقوطها فى القرن الرابع عشر الهجرى/العشرين الميلادى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسى الذى كان يجمعها، ومنذئذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبّأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الإِسْلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا : الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ)[٥٢].

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه فى هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامى آنذاك ؟! هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحدقة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدى لها ؟! بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك فى حد ذاته كان عقبة كبرى فى سبيل التصدى لتلك الأخطار ؟!. لأنك ترى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعايا السلطنة المملوكية نفسها، كابن طولون الدمشقى، وأحمد بن الحمصى، وأحمد بن زنبل الرمال، وغيرهم كعلى بن محمد الأشبيلى. ففى سرد ابن إياس لتلك الوقائع ترى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثمانى لمصر والشام وإزالة دولة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة فى السيطرة والاستحواذ ؟! أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تعصب لأبناء جلدته تعصباً أفقده حياده وإنصافه ؟!.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالنوايا والنوايا محلها القلوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإنصاف والحياد فى تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس بعناية يتبين له أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تدوين أى شائعة تدينهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التى سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (أشيع)، (قيل)، أو كان يذيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله : (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس فى كل تاريخه بل

فى ذلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العثمانى لمصر والشام فيحتمل أن يكون بغضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أى شائعة تدينهم، ولكن أمانته العلمية أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوقعنا فى إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبى السرور البكرى (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التى أوردها ابن إياس فى تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبيدى (ت١٠٩١هـ/١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العثمانى آثر أن ينقل رواية ابن زنبل رغم ما فيها من تحيز للماليك، فقد قال العبيدى : (وأحببت أن أخلص ما ذكره صاحب القانون العلامة أحمد بن زنبل وإن هو مغرض لجانب الجراكسة، يكاد تعبيره ينصرهم)[٥٣]، وكان العبيدى ينبه أحيانا على الأباطيل ويفندها.

أدلة تحامل ابن إياس على العثمانيين :

أولا : أنه كان يذكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالى، ومن ذلك قوله فى ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القلعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد وينصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فإنه كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجه)[٥٤].

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بمجافاة العدل وعدم الفصل فى الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه فى مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفى ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالى على شخص من العثمانية قيل أنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه، فقطع رأسه فى الحال وطاف بها فى القاهرة وهى على رمح، فظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم بعض عدل، فلعل أن يعتبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذى)[٥٥].

٢- ازداد عدوان العربان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكى جان بردى الغزالى[٥٦]، وفى ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية وإلا فإنه كان بوسعه أن يترك العربان يعتدون على القرى، فأى ضرر يعود على جنوده من ذلك ؟!، وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفى ذيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردى الغزالى لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وباعهم فى القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذى حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى فى القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردى الغزالى على فعله فى الشرقية)[٥٧]. فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغى عليه معاقبة جان بردى الغزالى، وأن لوم يونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان فى حاجه إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم فى إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكى إلى الحكم العثمانى، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالى وإدارى معقد الأمر الذى حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك فى إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسيأتى الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل فى نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عائداً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من الجنود العثمانيين يتعرضون للناس فى الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : (فلما قُبض عليهم، رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشنقوا، فشنق منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان الآخران فقد شفع فيهما من الشنق ذلك اليوم فسجنا)[٥٨].

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر يجافى العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد الحرابة لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة ٣٣]. وقول جمهور العلماء فى الآية أن (أو) هنا للتنويع على حسب الجريمة، فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلاف، ومن خاف السبيل ولم يأخذ المال ينفى من الأرض، والنفى هو الحبس فى أحد القولين. فلعل الاثنين الذين سجنا كانا من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسى المتوكل على الله الذى كان مقيماً بالقاهرة وأخذه السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم فى إقطاع الخلافة فى مصر، فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً (مندوباً) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : (فحنق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشرى الخليفة وعلى دواداره برد بك وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوهم وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غاية الإنصاف)[٥٩]. وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تفيد اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفصل فى الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه فى تاريخه، ومع ذلك يعمد فى كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدى، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فنتعجب من ذلك التناقض.

ثانيا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محفوفاً بالمخاطر فى أيام السلطان المملوكى قانصوه الغورى، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية[٦٠]، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لبضعة أعوام، وفى أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتن فى مكة وتعديات العربان على الحجاج[٦١]. فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والانحلال لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما فى العصر العثمانى فكان الأمر بخلاف ذلك، فعن موسم الحج فى عام ٩٢٥هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسباى، وقد أثنوا عليه الحجاج خيراً فيما فعله فى طريق الحجاز وأخبر الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفى موسم حج عام ٩٢٦هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جانم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العربان فى الطريق، فاتقعوا مع الأمير جانم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة، فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جانم، وأثنوا عليه كل جميل، وشالوا له الرايات البيض فى بركة الحاج) وفى موسم عام ٩٢٧هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أثنى على الأمير جانم أمير الحاج بكل جميل فى حفظه للحاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)[٦٢].

أما عن الحج الشامى ففى عام ٩٢٤هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العربان الذين تعدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون الدمشقى : (العرب من آل دغيم وقفوا للحاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية، وقصدوا أن يحيلوا بين الحاج وبين الأخيضر، فتحاربوا هم وإياهم نهاراً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعيانهم وعدة من الخيل بسب رماة البندق[٦٣] التى معهم، ويقال عدتهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين فدقت البشائر لذلك بدمشق)[٦٤].

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكتب بيده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبالرغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من مناقبه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو يدون عودة الحجاج سالمين آمنين، ويدون ثناءهم على أمراء الحج أن يذكّرنا بما كان يلاقيه الحجاج فى أيام السلطان الغورى من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العربان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويثنى على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يأبى أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذى بدل أحوال الحجاج من الخوف والرعب إلى الأمن والاطمئنان ؟! إن الذى تبدل هو الحكم والإدارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأزمة فى أيام الغورى كانت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت بلغت الدولة المملوكية فى تلك الفترة مبلغاً من العجز الإدارى إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعادوا الأمور إلى سابق الزمان.

ثالثا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التى لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كانوا جيعانين العين، نفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم فى الأسواق، وعندهم عفاشة فى أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمور فى الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلى فى الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أمراؤهم ولا وزراؤهم، وهم همج كالبهائم)[٦٥].

قلت : هذا كلام لا يمكن لعاقل أن يصدقه، ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ فى كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فأما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على أكتافه أبداً.! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحى القصور فى النظام كان يجبرها وجود قائد عسكرى فذ مثله، ولكن لما مات جنكيز خان سقطت دولته، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس دولة عظمى، فلما مات تلاشى أمرها كأن لم تغن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدونى حقق انتصارات عظمى فلما مات انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهى إحدى دول الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قروناً طويلة تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامى خال من تلك النقائص، ومعلوم لكل من درس التاريخ العثمانى أن دولة بنى عثمان قامت على أساس الجهاد فى سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلى ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً فى سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثمانى، وحسن إسلام أفراده وتدينهم، وأنا لن آتيك بنقول من المصادر الإسلامية لئلا يقول قائل إنهم يزكون أنفسهم أو يداهنون حكامهم، بل سآتيك بما قاله المؤرخون الغربيون من ألد أعداء العثمانيين فى عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتينى (ليوناردو الخيوسى) الذى كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فقد قال فى تقريره الذى رفعه لبابا روما : (ونودى فى معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران فى الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم الرئيسى على المسيحيين... يا إلهى! إذا سمعت تلك الأصوات وهى ترتفع إلى عنان السماء، وهى تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهى تعنى أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خادمه. لابد أن لسانك سوف ينعقد

وتصاب بالدهشة والذهول لما يجرى... وصاموا طوال اليوم ولم يقربوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحيون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون العناق والقبلات)[٦٦].

وقال المستشرق الألمانى كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانونى ابن سليم الأول الذى تولى الحكم فى الفترة من (٩٢٦هـ/١٥٢٠م وحتى ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافلة بإطراء روح النظام التى تكشف عنها الجيش العثمانى، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهى آفات لم تسلم منها فى يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير فى ضمان الغلبة على النصارى يوم كان الجيش العثمانى فى أوج قوته)[٦٧].

وقال الراهب الدنماركى (أولوف إيلجسون) الذى كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت فى أوائل القرن ١١هـ/١٧م، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذى يقدم لنا نحن الفورسا " الأسرى المجدفون " من نفس الطعام الذى يقدم للضباط الأتراك فى مقصوراتهم، وشىء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين البيرة الشراب والبراندى، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)[٦٨].

والكاتب الإنجليزى (وليم كونجريف) كتب مسرحية The Way of the World عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشرب خاصة نصرانية. لا يعرفها التركى. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يغنون ويشربون. على صحة الملك. وأف للسلطان والصوفية)[٦٩].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا وصف الجيش العثمانى فى عصور مختلفة كما جاء على ألسنة أعدائهم، فلست أدرى من أين جاء ابن إياس بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد فى كل زمان لكن ابن إياس لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثمانى كله، مما يدل على شدة تحامله على العثمانيين فجافى الإنصاف فى وصفه إياهم، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم يذكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشاروا إليه.

رابعا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهى طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التى قادها الريس سلمان العثمانى إبان وجود السلطان سليم فى مصر، ففُتِح البحر الأحمر من جديد، وعادت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من إغلاق البرتغال إياه، وفقا لما ذكره ابن إياس نفسه كما قدمنا. فمن العجيب أن المؤرخ الهندى زين الدين المعبرى الذى كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر ذلك فى كتابه قائلا : (فأرسل الأمير سلمان وراءهم " البرتغال "..... فيهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراباً صغيراً "مركباً" فى كمران وفيه اثنا عشر نصرانياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاعين توقفوا فى كمران لانقطاع الموسم الهندى، ثم رجعوا إلى كووه[٧١] خائبين بإذن الله تعالى، وذلك من فضل الله)[٧٢]... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة !. وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الريس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الريس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتعبث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون هناك)[٧٣]... ولم يذكر ابن إياس أن الريس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا ذكّرنا ابن إياس أن الملاحة عادت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف التام، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه فى عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م تم إرسال كسوة الكعبة وأموال الصدقات للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة[٧٤] ولاشك أن فى ذلك دليلاً على أن الملاحة فى البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أى تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أى مكرمة.!

خامسا : وصف ابن الفتح العثمانى لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبهه باستيلاء بختنصر البابلى على مصر قبل الميلاد، ويعدوان هولاكو على بغداد ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان فى زمن البخت نصر البابلى لما أتى من بابل وزحف على البلاد بعساكره وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهى خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار، فكان النيل يطلع وينفرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضى عليه ولا ينتفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفى سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك فى بغداد فى فتنة هولاكو ملك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خرابا إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)[٧٥].

قلت : لا مجال إطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولاكو، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكلية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحى خلال عملية الفتح العثمانى لمصر، سواء من الجيش العثمانى أو من الجيش المملوكى قد سقطوا فى إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، فلم تكن أعمالاً انتقامية لمجرد التنكيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولاكو. كما أنه لا يخفى ما فى قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر فى غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مليار إنسان).! إن سكان العالم كله فى زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد.! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر ؟! هل قتل كل هولاء.؟! هل عدمت مصر الناس أربعين عاماً.؟!. ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولاكو فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شمس الدين الذهبى عن دخول هولاكو بغداد : (فبذلوا السيف فى بغداد واستمر القتل والسبى فى بغداد بضعاً وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختفى، فبلغنا أن هولاكو أمر بعد ذلك بعدّ القتلى فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودى بعد ذلك بالأمان وظهر من كان قد تخبأ وهم قليل من كثير)[٧٦].. وقال ابن كثير عن دخول هولاكو بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس فى الآبار وأماكن الحشوش وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالى الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء فى الأزقة فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٧٧].

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن إياس نفسه أن السلطان سليماً لما دخل مصر لم يحدث من جنوده ربع معشار ما حدث من جنود هولاكو، ثم إن ما وقع من قتلى على يد الجيش العثمانى كان فى إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرحى من الطرفين، وهى عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقاماً وتنكيلاً ورغبة فى إفناء الشعب كالذى فعله هولاكو، فتشبيه ابن إياس السلطان سليماً ببختنصر أو بهولاكو، خطأ فادح وقع فيه ابن إياس. وإنما يدل على تحامله الشديد على العثمانيين وبغضه لهم إلى حد أفقده صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذى يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثمانى لمصر.

سادسا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين ذمه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء فى مصر على المذهب الحنفى، بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء فى مصر، إلا أن ابن إياس بالغ فى ذمه.!. فإن الأصل فى مصر منذ أن دخلها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستنيب عنه نواباً فى الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكى الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة فى عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م[٧٨]، ولا يخفى ما فى ذلك من المفاسد كالاختلاف وتفرق الكلمة فمعلوم أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تحسمه، وكانت تتمثل تلك القيادة فى منصب قاضى القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضى القضاة لمذهبة وقد ذكر ابن حجر العسقلانى فى أحداث عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م أن القضاة الأربعة فى حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان بفسق الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً[٧٩].

فلا ريب أن تلك البدعة التى ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفاسد، وقد قال المقريزى : (رُئِيَ السلطان بيبرس بعد موته فى النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد علىَّ من ولاة قضاة أربعة وقيل لى فرقت الكلمة)[٨٠].

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذى أحدثه الظاهر بيبرس أنه لما أراد أن يفعل ذلك فى دمشق رفض بعض قضاتها ذلك، فقد رفض المالكى والحنبلى قبول المنصب حتى ألزمهما السلطان به فقبلا بشرط عدم الحصول على رواتب. قال المقريزي : لم يقبل المالكى ولا الحنبلى، وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك وأخذ ما بأياديهما من الوظائف إن لم يفعلا فأجابا. ثم أصبح المالكى وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلى من تناول جامكية (مرتب) على القضاء، وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

أهل دمشق استرابوا	من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شموس	وحالهم فى ظلام[٨١]

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله : (وقد كان هذا الصنيع الذى لم يسبق إلى مثله قد فعل فى العام الأول بمصر كما تقدم. واستقرت الأحوال على هذا المنوال)[٨٢].

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء فى أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير، وكان القضاة يدفعون مبالغ كبيرة للسلطان ليوليهم منصب قاضى القضاة، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس فى أحداث عام ٩١١هـ/١٥٠٥م من أن القاضى جمال الدين القلقشندى تقلد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة، كانت آخرها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضى ابن النقيب للسلطان الغورى خمسة آلاف عزل القلقشندى وولاه مكانه، قال ابن إياس : (أخلع السلطان " الغورى " على قاضى القضاة الشافعى محى الدين عبد القادر بن النقيب، وأعاده إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندى، فكانت مدة جمال الدين القلقشندى فى القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثالث ولاية وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يقم بها فى الثلاث مرات إلا مدداً يسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن القاضى محى الدين يحيى الدميرى تولى قضاء المالكية بألفى دينار[٨٣].

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجبونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكى خشقدم للسلطان سليم عن فساد أحول مصر (أن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)[٨٤].

وقد ظل القضاة يتولون القضاء بالرشوة حتى أبطل ذلك السلطان طومان باى عندما كان السلطان سليم فى طريقه إلى مصر، قال ابن إياس : (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

الدرهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا فى منصب القضاء بمبلغ وقال لهم : أنا ما أقبل رشوة فى ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً)[٨٥].

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشاكلة إنما هى مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن إياس واقعة مؤسفة تدل أبلغ دلالة على ذلك فى عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضى القضاة الشافعى متلبساً بالزنى بمحصنة، فرفع الأمر إلى السلطان الغورى فتم الحكم عليهما بالرجم بعد أن أقر ذلك الحكم القضاة الأربعة فى نفس المجلس، ولكن رجع القضاة الأربعة عن حكمهم تعصباً للزانى لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إنتوا الأربعة قوموا ولا ترونى وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم[٨٦].

فكان ينبغى على ابن إياس الذى علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية فى أواخر العصر المملوكى من فساد، أن يفطن إلى أن توحيد القضاء بمصر فى زمن السلطان سليمان القانونى على يد القاضى سيدى جلبى، إنما يعد من أجل الأعمال التى صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم فى بلد واحد يفسد مصالح الناس.

الثانى : أن المؤسسة القضائية فى مصر كان الفساد ضارباً أطنابه فيها، فكان يجب أن تزال، لاسيما وأن قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل، وقاضى القضاة المالكى محى الدين الدميرى الذين كانا فى منصبيهما عندما صدر الفرمان السلطانى بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين فى واقعة القاضى الزانى المذكورة آنفاً. ثم إن السلطان سليمان لم يبطل عمل القضاة الأربعة بالكلية، وإنما جعلهم نواباً للقاضى العثمانى، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنكحة وغيرها منوطة بالقاضى العثمانى دون غيره، وأظن أن السبب فى ذلك هو فساد نواب القضاة فى مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم فى مصرا، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضى العثمانى فى المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاة لم يلتزموا بذلك وباشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملة قبل أن تكمل عدتها، فعاقبوه وأشهروه فى القاهرة[٨٧]. ولو أردنا أن نفصل فى مظاهر فساد القضاء فى مصر فى أواخر العصر المملوكى لطال بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن نكتفى بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت فى القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانونى ابن السلطان سليم :

(أنه فى الزمن القديم عندما يقترف أحد القرويين ذنباً ما ويفصل فى أمره، تبرأ ذمته تماماً ولكن الكشاف كانوا يعودون ويقبضون على هؤلاء مرة أخرى ويعتدون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والى المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع " القاضى " فى شىء

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة)[٨٨].

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاة أمام الكشاف والولاة أو فسادهم، وبالتالى فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بمصر، حتى وإن ترتب عليه تقليل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظائفهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، لكنك تجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثمانى وذمه لا لسبب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل فلق الصبح، فقد قال إبن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثمانى إلى مكة : (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاة الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة وأسمر دكاكينهم، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأنكحة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من المبلغ، وصار لا يعقد عقداً إلا فى المدرسة الصالحية)[٨٩].

نلاحظ هنا أن كل ما نقمه ابن إياس على القاضى العثمانى أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق الفساد وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثمانى نفسه مناقضاً ما قاله أولاً، قال : (فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحية إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)[٩٠].

قلت : إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثمانى لم يبطل عمل القضاة الأربعة ونوابهم بالكلية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأنهم فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، ففيم الغضب والضيق والحنق على القاضى العثمانى..؟! فربما أن ابن إياس أبت نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجراكسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نقمه على قاضى العسكر العثمانى بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس ليعلمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكى كن قد افتقدن الحشمة والوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثمانى ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن للحمير والبغال لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذى حمل القاضى على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك فى وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن إياس : (اتفق أن قاضى العسكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهانية [٩١] فى وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء[٩٢] : " إن نساء أهل مصر أفسدت عسكر الخوندكار [٩٣] ولا بقى ينفع للقتال قط. وقص عليه قصة النسوة مع الاصبهانية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للوالى بأن ينادى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شنق من يومه من غير معاودة فى ذلك ".... ثم خفف القاضى بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن إياس : (ثم تكلم الناس مع قاضى العسكر فى أمر النساء، وأن لا يمنعوا من طلوع التربة ودخول الحمام وزيارة الأقارب، فأذن لهن فى ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، فسمح لهن قاضى العسكر بذلك وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دائماً)[٩٤]..... ثم قال ابن إياس : (باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش وشدوها بنصف رحل، وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى قائد لجام الأكديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة)[٩٥].

قلت : الأكديش هو البرذون[٩٦]، وقال الشيخ الفيومى المقرى : (قال المطرزى : البرذون هو التركى من الخيل وهو خلاف العراب)[٩٧]. الشاهد أن القاضى استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وخروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغير حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شده بنصف رحل، لكى يكون اختلاطها بالمكارى فى أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضى، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحيى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : ﴿ اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ ﴾[٩٨].

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أطهر الناس قلوباً وأعفهم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : ﴿ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ : فَقُلْتُ لِعَمْرَةَ : أَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُنِعْنَ الْمَسْجِدَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ﴾[٩٩].

قلت : وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء فى زمن عائشة رضى الله عنها.؟! التطيب.؟! إظهار الحلى.؟! فكيف الحال بمجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذى ذكره المؤرخون فى أواخر العصر المملوكى، فقد حدثنا المقريزى عما كان يحدث فى يوم وفاء النيل عند فتح الخليج،

فقال عن (بركة الرطلى) : (وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور بها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس، فتمر هنالك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات، واختلاطهن بالرجال من غير إنكار)[١٠٠]... وفى الخليج الناصرى كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب النزهة فيه فى زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقريزى : (ولم تزل مراكب الفرجة ممتنعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برقوق فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فأذن فى دخولها وهى مستمرة إلى وقتنا هذا)[١٠١]... كما يحدثنا المقريزى فى أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أن شاطئ النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقريزى : (ركب الأمير سودن قرا صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فإنهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمور ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استتار، فعندما طرقهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة)[١٠٢].... كما يحدثنا المقريزى أنه فى عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م لما تفشى الطاعون فى مصر، أن السلطان استفتى العلماء فى ذلك، قال المقريزى : (فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلاً ونهاراً فى الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق، ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها، وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضاً فمال السلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقًا)[١٠٣].

وقد ذكر ابن تغرى بردى أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتى ليس لهن من يقوم على شئونهن فسمح السلطان بخروج الإماء لقضاء حاجات مواليهن[١٠٤]... وفى عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م فى أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقريزى : (نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى فامتنعن. ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة)[١٠٥].

الشاهد من ذلك أن الأحوال فى مصر فى أواخر العصر المملوكى كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال فى الأسواق وفى المنتزهات دون إنكار إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه العلماء والسلاطين ويتخذون إجراءات صارمة للتصدى له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر فى تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال فى أيام الظاهر برقوق فى عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م : (نادى الأمير كمشبغا نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المفترجات قاطبة، وأن لا امرأة تلبس قميص بأكمام كبار، وكانوا قد أفحشوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحد)[١٠٦]. قلت: فها هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد فى عهد السلطان برقوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهتها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فلِمَ أنكر على القاضى العثمانى ما اتخذه من إجراءات ؟!. فإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مبلغ تحامله على القاضى وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأنكى من ذلك قوله عن القاضى العثمانى : (وضيق على النساء فى ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير. فلما خرج من مصر " إلى مكة " صنفت النساء رقصة فقالوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضى العسكر)[١٠٧].

قلت : لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف البغايا و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهن وينتقص من قدر قاضى العسكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر فى تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنعه.

لعل فيما قدمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على ذوى الألباب من الباحثين أن يتحروا الدقة ويحذروا عند نقل الوقائع التى ذكرها عن العثمانيين، وانفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصى فى السلطان سليم أو فى العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متعلق بالنوايا، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نظن أن أسباب تحيزه تكمن فى أمرين :

الأول : أنه كان من نفس جنس المماليك، فجده هو الأمير إياس الفخرى، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الاختلاط برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإقطاعات كما ذكر هو عن نفسه[١٠٨] لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد آلمه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التى كان يعد من وجهائها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأرامل والثكالى واليتامى من أبنائهم، الأمر الذى حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أى اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان فى خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإنقاذه من ذلك الخطر ، وقد قال السلطان سليم فى رباعياته ما ترجمته :

إن خشيتى من الاختلاف والفرقة ستظل تقلقنى حتى وأنا فى القبر

إن اتحدنا فصولة الدولة تستطيع دفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لى[١٠٩]

الثانى : أنه يغلب على ظنى أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثمانى فى الخمس سنوات الأولى التى شهدها ابن إياس قبل وفاته – المرحلة الانتقالية – لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكى باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فلقد بقيت الإدارة فى يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكى خاير بك الذى كان نائب حلب فى عهد السلطان الغورى بأن يكون نائبه فى مصر، وأمره أن يقبل كل من جاءه طائعاً من أمراء المماليك ويكرمه[١١٠] فبقيت المناصب فى يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جانم الحمزاوى الذى أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جانم السيفى كاشف الفيوم وأمير الحج، والأمير قايتباى الدوادار، والأمير برسباى الخازندار، وقانصوه العادلى كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولاها الزينى بركات بن موسى[١١١] وهو الذى كان يتولاها فى زمن السلطان الغورى، ثم عزله خاير بك فى عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وولاها للقاضى عبد العظيم[١١٢]. حتى القضاة الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم فى مناصبهم[١١٣] إلى أن تم تنظيم القضاء بعد بضع سنوات فى عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإنك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث فى زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدى على الرزق الأحباسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاة من عنده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل.؟! يهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيانته للمماليك وتعاونه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صدره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك[١١٤] وذلك بعد أن فشل يونس باشا فى إدارة البلاد، فمصر بلد كبير ولها نظام إدارى ونظام مالى خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعوانهم من الكتبة، قال د.سيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجدد من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكتبة يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم بذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة فى البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية فى مصر فى حالة من الاضطراب الشديد)[١١٥].

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بداً من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤقتاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل درايته بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الفارين لاستمالتهم للدخول فى الطاعة، لأن بقاءهم مشردين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه، قال ابن زنبل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الأمان أن يقبله ويبقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه فى ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)[١١٦].... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول يوصيه بالمماليك الجراكسة خيراً[١١٧]. فبقاء الإدارة المملوكية فى مصر كان أمراً حتمته الظروف فى الخمس سنوات الأولى من الحكم العثمانى، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع فى العهد المملوكى، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوقرون خاير بك، ولم تكن له مهابة فى نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى فى حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة)... وكان قاضى العسكر العثمانى يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففى المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك فى القلعة وقال له: (انظر فى أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كتمتوا عنى أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى)[١١٨].

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوقرون أى أمير مملوكى أو يهابونه، فقد كانوا بالأمس القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طبائعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيانه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره فى اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك يأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس : (ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم، بأن لا أحد من الانكشارية[١١٩] ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سليماً أرسل فى طلب كمشبغا والى القاهرة بعدما وصلته شكاوى من ظلمه وتعديه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك[١٢٠].

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يحتمل سوء الإدارة المملوكية فى مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثمانى إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا فى عصر السلطان سليمان القانونى، وهو لم يعش ليرى صلاح أحوال القضاء بعد توحيده، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التى كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتمس العذر لابن إياس للأسباب التى تقدم ذكرها، فأى عذر عسانا نلتمسه لأساتذة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لسائر المصادر المعاصرة للأحداث.؟!.

وبناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتمد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغى لأحد أن يفهم من كلامى هذا أننى أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العقلاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وآثار بديعة، وهو ممن أفنوا أعمارهم فى تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت آنفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية فى الفترة التى عاشها، ولكنى أدعو إلى تناول بعض الروايات التى وردت فى الجزء الخامس من كتابه بحذر وتدقيق نظر، لاسيما فى الوقائع التى تفرد بذكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو فى آرائه الشخصية. كما ينبغى دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتى شهدت الحكم العثمانى على حقيقته كتواريخ ابن أبى السرور البكرى، ومرعى بن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف الكرمى، وإبراهيم بن عامر العبيدى وكذلك المصادر التركية التى عاش مؤلفوها فى مصر مثل (نوادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدى على بن داود الديار بكرى الذى تولى قضاء دمياط عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير أمراء مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و(تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا بأستاذ فى اللغة التركية ليترجم لنا هذه المصادر لينير لنا بها البصائر، فإن أكبر معضلة تواجه الباحث فى التاريخ العثمانى هى أن مصادره التاريخية سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهى باللغة التركية العثمانية، التى كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثمانى من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرالاى إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم فى الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين فى البلاد العربية آنذاك شيوع اللغة الإنجليزية فى العصر الحالى، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانفصام التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوء فى ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما يعد أكبر عملية هدم ثقافى شهدها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التى حذفت منها.

وقد أهمل فى مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثمانى فى المؤسسات التعليمية لعقود طويلة ومازال هذا الإهمال قائماً حتى الآن، فالتاريخ العثمانى لا يدرس إلا فى بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس فى المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثمانى من خلال دراسة تاريخ العالم العربى الحديث أو تاريخ مصر فى العصر الحديث، أقول هذا منهج سقيم جداً فى التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرّة السلطنة كما اصطلحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر فى العصر العثمانى لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن ينبئنا أبداً عن حال الدولة المركزية وعلاقاتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسيوط أو أى محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها ؟! ولا يخفى على كل ذى لب أن التاريخ العثمانى ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فلن يتسنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية فى ذلك العصر، ولكن للأسف الشديد يحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال المراجع الأوروبية التى لا تخلو من دسائس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثمانى لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والمماليك،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكل ما كتبوه فى هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيتر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرنولد توينبى) وجل ما كتبوه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبى حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرنولد توينبى) فلن يتمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب ودوافعها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد فى دراستها فلن يمسك مقاليدها، ولن يملك ناصيتها، وقد فصلت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم فى كتابى (منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان) (٢/٢٣٢.٢٦١). وجدير بالذكر أن اللوم والتثريب هنا ليس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ فى التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغافل عن مصادرنا التاريخية وزهد فى أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون !!. كما يقع اللوم والتثريب على كل أستاذ فى اللغة تقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كلٌ فى تخصصه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE

ARCHIVE

حواشى البحث

(1) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. نسخة إلكترونية (الموسوعة الشاملة)الإصدار الثانى. جـ١ ص ٢٢٩.

(2) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون جـ٢ ص١٩٤١، ١٩٥٣، إسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليلة اصطنبول ١٩٥١م. جـ٢ ص٢٣١.

(3) لقد نقلت نص كلام ابن إياس على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصا على عدم التبديل.

(4) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. جـ٤ ص ٤٧.

(5) رسالة كرستوفر كولومبس إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١. ترجمة حاتم الطحاوى، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٢٧٦، ٢٨١.

(6) بِجَايه، بكسر الباء وفتح الجيم، وهى مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ١ ص ٣٣٩. وتقع حاليا فى شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر.

(7) وَهْران، بفتح الواو وسكون الهاء وهى مدينة على البر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان سرى ليلة. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٨٥. وتقع حاليا فى شمال غرب الجمهورية الجزائرية.

(8) أصلها : أطْرَابُلُس. بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء وضم الباء واللام. وهى مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ١ ص ٢١٧. وهى حاليا عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع فى شمال غربها على ساحل البحر المتوسط.

(9) قنصل فرنسا فى طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحوليات الليبية.

(10) شارل فيرو : الحوليات الليبية. ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. جامعة قاريونس، بنى غازى ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطاب موجود فى دار محفوظات بلدة سيمانكس الإسبانية.

(11) زين الدين المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت عناية الحكيم السيد شمس الله القادرى، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٢٨.

(12) سُقُطْرَى، بضم السين والقاف وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدّة قرى ومدن تناوح عدن جنوبيها عنها. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. دار صادر بيروت. ١٩٩٥م. جـ٣ ص ٢٢٧.

(13) قَلْهات، بفتح القاف وسكون اللام. مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سفن الهند. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٣.

(14) مَسْقط، بفتح الميم وسكون السين وفتح القاف ((مدينة بنواحى عمان)) انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٥ ص ١٢٧. وهى عاصمة سلطنة عمان حاليا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(15) هُرْمُز : بضم الهاء وسكون الراء وضم الميم ((مدينة فى البحر.. على بر فارس وهى فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخرسان)) انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة فى مضيق هرمز تتبع إيران حاليا.

(16) عبد القادر العيدروس : النور السافر فى أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٥٨، ج.ج لوريمر : دليل الخليج. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. بدون تاريخ. جـ ١ ص ١٢، ١٣.

(17) ابن إياس بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.

(18) ابن إياس بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٣٣١. وكَمْرَان، بفتح الكاف والميم والراء وهى جزيرة قبالة زبيد باليمن. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٢ ص ١٣٩. وتقع فى جنوب البحر الأحمر.

(19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح، وقد تسلطن من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وحتى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م.

(20) هى إحدى فرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويعتقدون أنهما وأغلب الصحابة ضلوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، لما ظهر بالكوفة فى أصحابه الذين بايعوه وسمع من بعضهم الطعن على أبى بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم رفضتمونى ؟، قالوا : نعم. فيقال : إنهم سموا رافضة لقول زيد بن على لهم رفضتمونى انظر : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية فى الرد على الشيعة والقدرية جـ ٣ ص ٢٠٠.

(21) إسماعيل بن حيدر بن جنيد، وسمى بالصفوى نسبة إلى جده الأكبر الشيخ صفى الدين الأردبيلى صاحب زاوية صوفية فى أردبيل، وبالرغم من أنهم كانوا جميعاً من أهل السنة إلا أن الشاه إسماعيل هو أول من تشيع اعتنق الرفض، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيلان بجموعه سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولى على كثير من بلاد العجم حتى سقطت فى يده تبريز مقر سلطنة ((آق قويونلى)) انظر أخباره عند حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط فى دار الكتب والوثائق القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت. ورقه ١٢١.

(22) تبْريز، بكسر التاء وسكون الباء وكسر الراء. قال ياقوت : ((هى أشهر مدن آذربيجان)) انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٢ ص ١٣. وتقع حاليا فى شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتنطق بفتح التاء.

(23) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٤٣.

(24) النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبزج، ألمانيا ١٨٥٧م. ص ٢٧٥.

(25) حسين خوجه بن على : بشاير أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٠٥، ١٠٧، يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل. اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. جـ ١ ص ٢٠٩ - ٢١١.

(26) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج. القسم التاريخى. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. جـ١ ص ١٤.

(27) كانت البضائع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج يربط فرع رشيد بالإسكندرية. أو كانت تنقل برا.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(28) آذَرْبَيْجان، بمد الهمزة وفتح الذال وسكون الراء وفتح الباء وسكون الياء، فى أحد الأقوال. قال ياقوت :(حد آذربيجان من برذعة مشرقا إلى أرزنجان مغربا... ومن مشهور مدائنها تبريز). انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ١ ص ١٢٨ فليس المقصود جمهورية آذربيجان الحالية، بل هى الأراضى الواقع حاليا شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.

(29) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية. بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. جـ ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤. عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. جـ ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. اصطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ص ٢٣٠.

(30) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١١٩.

(31) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٢٠١.

(32) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٣٢٤.

(33) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ٤ ص ٢٨٥.

(34) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(35) إمارة صغيرة فى جنوب الأناضول تابعة للسلطنة المملوكية ومن مراكزها ملطيه وأبلستين. انظر القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول. تحقيق أحمد حطيط، فهمى سعد. عالم الكتب، بيروت. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. جـ ٣ ص ٩٨.

(36) ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.

(37) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصى : حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش. دار النفائس. بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣، العبيدى : قلايد العقيان فى مفاخر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص٤٥.

(38) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٥.

(39) النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، الكرمى : نزهة الناظرين وأخبار الماضين فى تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر. بدون تاريخ. ص ٧٣.

(40) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٣٣.

(41) محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصفويين، لأنهم كانوا يلبسون غطاء رأس أحمر. انظر : البكرى : المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية. ص ٧٣، حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٢٠. وتنطق ((كِزِلْ بَاش)) بكسر الكاف والزاى وسكون اللام وفتح الباء، مع تفخيم جميع الحروف، وهى كلمة تركية من مقطعين ((قزل)) : أحمر، ((باش)) : رأس. والمعنى ذو الرأس الحمراء.

(43) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦.

(44) وتكتب أيضا ((عَيْن تاب)) بفتح العين وسكون الياء. وهى قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهى الآن فى جنوب تركيا.

(45) محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة. ص ١٤٠، أحمد فؤاد متولى : الفتح العثمانى للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م. ص ١٣٤.

(46) المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.

(47) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.

(48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ بمتحف طوب قبو باصطنبول، وقد نشرها عبد الجليل التميمى فى بحث بعنوان ((أول رسالة من أهالى مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩)). المجلة التاريخية المغربية تونس، العدد السادس، يوليو . تموز ١٩٧٦. نقلته من عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. جـ ٢ ص ١٨٤.

(49) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦، ٢٣٠.

(50) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ١ ص ٣٢٥.

(51) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. جـ ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديحج العلوى الحسنى الحضرمى، وساعده فيه سلطان محيى الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. جـ ٧ ص ١٥٢.

(52) رواه أحمد (٤٨٥/٣٦)، أبو بكر بن الخلال فى السنة (١٢٧/٤)، ابن حبان فى صحيحه (١١١/١٥)، الطبرانى فى الكبير (٩٨/٨)، البيهقى فى الشعب (٢٧/١٠)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٠٥/٢).

(53) العبيدى : قلايد العقيان فى مفاخر آل عثمان. ورقة ٤٤.

(54) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٢.

(55) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٧٩.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماه فى عهد السلطان قانصوه الغورى، ثم دخل فى طاعة السلطان سليم بع فتحه مصر.

(57) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٨.

(58) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢١٩.

(59) محمد بن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣١٧، ٣١٨.

(60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان. ص ٢٣٣، ٢٧٦.

(61) وقائع تلك الفتن يطول ذكرها فمن شاء التفصيل فليرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨.

(62) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٤٣١.

(63) سلاح البنادق أدخله السلطان سليم فى مصر ولم يكن المماليك يستخدمونه. انظر ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. ص ٧١.

(64) ابن طولون : مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان. ص ٣٨٧.

(65) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٨.

(66) ليوناردو الخيوسى : تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، كرستوفورو ريشيريو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثمانى للقسطنطينية ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م ص ١٦١، ٣١٥. وانظر أيضا نيقولو باربارو : يوميات الحصار العثمانى. ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة.٢٠٠٢م. ص ١٦٣.

(67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. بيروت ٢٠٠٥م. ص ٤٦٨.

(68) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. جـ ٢ ص ٤٣٦، انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والغرب. دار الرشيد دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٦٨.

(69) برنارد لويس : الإسلام والغرب. ص ٦٨.

(70) كلمة مطموسة بالأصل، أظنها : مركبين.

(71) ثغر فى الساحل الغربى للهند.

(72) المعبرى : تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.

(73) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٣.

(74) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٧٧.

(75) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٥٧.

(76) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التدمرى. دار الكتاب العربى. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. جـ ٤٨ ص ٣٦.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(77) ابن كثير: البداية والنهاية. تحقيق على شيرى. دار إحياء التراث. بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. جـ ١٣ ص ٢٣٥.

(78) الذهبى : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. جـ ٤٩ ص ٢١، الدين القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٧٨م. جـ ٤ ص ٣٦، المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٢ ص ٢٨.

(79) ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر. جـ ٢ ص ١٦٢.

(80) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٢ ص ١٠٧.

(81) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٢ ص ٣١.

(82) ابن كثير : البداية والنهاية. جـ ١٣ ص ٢٨٦.

(83) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٩١، ٤٧٧.

(84) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٤٧١.

(85) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١١٧.

(86) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ٣٤١ – ٣٤٥.

(87) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٥، ١٨٤، ٤٥٣.

(88) سيد محمد السيد : مصر فى العصر العثمانى. القرن ١٦. مكتبة مدبولى. القاهرة. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. ص ٣٨٧.

(89) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦٩.

(90) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦٩.

(91) المقصود الفرسان، وهى تحريف للكلمة الفارسية ((سْبَاهى)) وتكتب بحرف الباء المثلثة، وتنطق ((P)) بسكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تفخيم جميع الحروف، وتعنى فارس.

(92) خاير بك، الذى ولاه السلطان سليم الأول واليا على مصر.

(93) من ألقاب السلطان العثمانى.

(94) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.

(95) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦٢.

(96) ابن شاهين : الإشارات فى علم العبارات. دار الفكر. بيروت. بدون تاريخ. جـ ١ ص ٨٠٤.

(97) الفيومى المقرى : المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية بيروت. جـ ١ ص ٤١.

(98) رواه أبو داود (٣٦٩/٤)، الطبرانى فى الكبير (٢٦١/١٩)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير (٢٢١/١).

(99) رواه مسلم (٣٢٨/١)، أبو داود (١٥٥/١)، أحمد (١٢٥/٤٣)، أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه (١٥٦/٢) البيهقى فى السنن الكبرى (١٩٠/٣)، عبد الرزاق فى مصنفه (١٤٩/٣)، الطبرانى فى المعجم الأوسط (٤٨/٧)، أبو عوانة فى المستخرج (٣٩٧/١)، ابن خزيمة فى الصحيح (٩٨/٣).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(100) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. جـ ٣ ص ٢٨٧.

(101) المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. جـ ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(102) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٦ ص ٤١٣.

(103) تقى الدين المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك جـ ٧ ص٣٥٠.

(104) بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م. جـ ١٥ ص ٩٤.

(105) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك. جـ ٧ ص ٤٦٣.

(106) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ١ ص ٤٤٨.

(107) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٤٦٩.

(108) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٤ ص ١٣٦.

(109) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٨.

(110) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧. ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى ص ١٨٤.

(111) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٣٤، ٣٩٤، ٣٩٥.

(112) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٠٣.

(113) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ١٦٥.

(114) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٠٣، حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٩.

(115) سيد محمد السيد : مصر فى العصر العثمانى فى القرن ١٦. ص ٣٦.

(116) ابن زنبل : واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. ص ١٨٤.

(117) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.

(118) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٢٣٣.

(119) هو تحريف للفظة التركية ((يكى جرى)) بحرف الجيم المثلثة، وحرف الكاف المثلثة فينطق عندئذ نوناً فينطق اللفظ كاملاً ((يَنِى تْشرِى))، بفتح الياء وكسر النون، وسكون التاء وكسر الشين والراء، وهى كلمة من مقطعين، وتعنى العسكر الجديد وهى إحدى أشهر وحدات الجيش العثمانى. انظر محمد أسامة زيد : منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة. ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. جـ ٢/ ص ٤١٤.

(120) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. جـ ٥ ص ٣٢٩، ٣٣٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المصادر

ابن أبى شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبى بسكر (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م)

١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ

ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

٢- بدائع الزهور فى وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ/١٣٧٢م).

٣- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمى (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)

٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعيب الأرناؤط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٥- إنباء الغمر بأبناء العمر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديحج الطوى الحسنى الحضرمى وساعده فيه سلطان محيى الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ابن الحمصى : أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧م).

٦- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش. دار النفائس، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)

٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د.محمد مصطفى الأعظمى. المكتب الإسلامى، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

ابن زنبل : أحمد بن زنبل الرمال (ت بعد ٩٦٠هـ/١٥٥٢م).

٨- واقعة السلطان الغورى مع سليم العثمانى. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م.

ابن شاهين الظاهرى : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م).

٩- الإشارات فى علم العبارات. دار الفكر، بيروت.

ابن طولون : شمس الدين محمد بن على بن أحمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).

١٠- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القيسى الدمشقى (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)

١١- البداية والنهاية. تحقيق على شيرى. دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستانى (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م)
١٢- سنن أبى داود. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسى (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)
١٣- مسند أبى داود الطيالسى. تحقيق د.محمد عبد المحسن التركى. دار هجر، مصر. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
أبو عوانة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)
١٤- مستخرج أبى عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقى. دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م
أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى الموصلى (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م)
١٥- مسند أبى يعلى الموصلى. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م).
١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرناؤط، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
إسماعيل باشا سرهنك (ت بعد ١٣١٤هـ/١٨٩٦م).
١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.
إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادى (ت ١٢٩٩هـ/١٨٨١م)
١٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليلة، اصطنبول ١٩٥١م.
البخارى : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩ م).
١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
البكرى : محمد بن أبى السرور البكرى (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م).
٢٠- المنح الرحمانية فى الدولة العثمانية. تحقيق لبنى الصباغ. دار البشائر.
البيهقى : أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخسروجردى الخراسانى البيهقى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلى عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية. ببومباى بالهند. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
الترمذى : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢ م).
٢٢- سنن الترمذى. تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقى، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
حاجى خليفة (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).
٢٣- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثانى.
حسين خوجه بن على (ت بعد ١١٣٦هـ/١٧٢٣م).
٢٤- بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦) تاريخ طلعت. ميكروفيلم رقم (١٣٤٨٦).
الحميدى : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشى الأسدى (ت٢١٩هـ/٨٣٤م).
٢٥- مسند الحميدى. تحقيق حسين سليم أسد الدارانى. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التدمرى. دار الكتاب العربى، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
الطبرانى : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م).
٢٧- المعجم الكبير. تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثانى.
٢٨- المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينى دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى الصنعانى (ت ٢١١هـ/٨٢٦م)
٢٩- المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
عبد القادر العيدروس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م).
٣٠- النور السافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
الفيومى المقرى : أحمد بن محمد بن على (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م).
٣١- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت.
القلقشندى : شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد الفزارى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
٣٢- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.
كرستوفر كولومبس.
٣٣- رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١م، ترجمة حاتم الطحاوى ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.
الكرمى : مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م).
٣٤- نزهة الناظرين وأخبار الماضين فى تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العادلين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم (٥٢٩٨).
ليوناردو الخيوسى.
٣٥- تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثمانى للقسطنطينية. ترجمة حاتم الطحاوى. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (٢٠٠٣م).
مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (ت ٢٦١هـ/٨٧٤ م).
٣٦- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى. دار التراث العربى، بيروت.
المعبرى : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن على (ت بعد ٩٢٣هـ/١٥١٧م).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٧- تحفة المجاهدين فى بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت عناية الحكيم السيد شمس الله القادرى، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م.

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر العبيدى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

النسائى : أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر النسائى (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).

٤٠- السنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلبى. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

النهروالى : قطب الدين محمد بن أحمد المكى (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م).

٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبزج، ألمانيا ١٨٥٧م.

نيقولو باريارو.

٤٢- يوميات الحصار العثمانى. ترجمة حاتم الطحاوى، ضمن كتاب الفتح الإسلامى للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٢م.

ياقوت الحموى : ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

٤٣- معجم البلدان. دار صادر. بيروت. ١٩٩٥م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المراجع

أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك

١- الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية، اصطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

أحمد فؤاد متولى.

٢- الفتح العثمانى لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

برنارد لويس.

٣- الإسلام والغرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

بشرى خير بك.

٤- الدخول العثمانى لشمال إفريقية، ضمن الكتاب المرجع فى تاريخ الأمة العربية. المجلد الخامس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ج.ج. لوريمر.

٥- دليل الخليج. القسم التاريخى. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر.

سيد محمد السيد.

٦- مصر فى العصر العثمانى فى القرن السادس عشر. مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

شارل فيرو.

٧- الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى. ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. بنى غازى ١٩٩٤م.

د.عبد العزيز محمد الشناوى.

٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.

كارل بروكلمان.

٩- تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكى. دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥م.

محمد أسامة زيد.

١٠- منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

محمد حرب.

١١- العثمانيون فى التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى بن آدم الأشقودرى الألبانى (ت١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامى، بيروت.

يلماز أوزتونا.

١٣- تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com